المرحلة الثانية **د اياد عايش محمد**

المحاضرة التاسعة - الفصل الدراسي الثاني – تاريخ البلاد العربية الحديث : اهم الاحزاب والجمعيات

حزب الحرية والائتلاف وانتخابات سنتي ١٩١٢ و١٩١٤ م :

أدت الاندحارات العثمانية في طرابلس الغرب إلى ازدياد المعارضة في مجس المبعوثان لوزارة حقي باشا فأدت إلى إسقاطها ، ولم تكتفِ المعارضة بذلك بل عمدت إلى تكوين حزب جديد عرف باسم " حزب الحرية والائتلاف " في ٨ تشرين الثاني ١٩١١ والذي ضم عناصر الحزب الحر المعتدل وجماعة من الاتحاديين المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي ، وقد ساهم بعض المبعوثين العرب في تشكيل هذا الحزب الذي ضم عناصر مختلفة تجمعهم فكرة معارضة الاتحاد والترقي والإيمان باللا مركزية ، وقد نشر الحزب منهاجه السياسي الذي نص على توسيع المأذونية وتفريق الوظائف باستثناء مسائل الدفاع الخارجي أو مسائل المنافع المشتركة بين الولايات مع بقاء الرابطة العثمانية على ان تمنح الولايات استقلالا إدارية على أساس اللا مركزية .

تفاقم الصراع بين الاتحاديين والائتلافيين في مجلس المبعوثان ، إذ ازدادت حدة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي مما اضطر الاتحاديين إلى استصدار إرادة سلطانية لحل مجلس المبعوثان في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٢ على ان تجري الانتخابات خلال ثلاثة أشهر من تاريخ حل المجلس ليجتمع مجلس المبعوثان الجديد.

اختلفت الانتخابات التي بدأت أواخر كانون الثاني سنة ١٩١٢م عن سابقتها وذلك لأن الصراع بين جمعية الاتحاد والترقي وحزب الحرية والائتلاف كان على أشده ، وبالرغم من نجاح الاتحاديين في ان تكون لهم اكثرية برلمانية إلا إنهم سرعان ما واجهوا مشاكل معقدة ، وقد كان للجمعية العسكرية التي تألفت منذ آيار – حزيران سنة ١٩١٢م والتي عرفت باسم ضباط الانقاذ أو " خلاص كار ضابطان "

دور كبير في إحداث تلك المشاكل ، ومعظم هؤلاء الضباط من الألبان وقد أعلنوا تمردهم في الروم إيلي وتركزت معارضتهم حول عدم شرعية الحكومة ومجلس المبعوثان الجديد الذي أقحمت جمعية الاتحاد والترقي أعضاءها فيه ، فطالبوا بانتخابات حرة ، ودعوا إلى عدم تدخل الجيش في السياسة وأوعزوا إلى محمود شوكت باشا وزير الحربية بالاستقالة فاستجاب لدعوتهم في ٢١ تموز سنة ١٩١٢م ، وتألفت وزارة ائتلافية برئاسة احمد مختار باشا (ثم كامل باشا من بعده) وحل مجلس مبعوثان ، وأعلنت الحكومة الجديدة عن عزمها لتطبيق مبدأ اللامركزية .

لم تتمكن وزارة ضباط الانقاذ من تنفيذ منهاجها اذ أطاح بها الاتحاديون بانقلابهم العسكرية الثاني في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٣م بقيادة أنور باشا وحكم وحكم الاتحاديون منذ ذلك التاريخ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى بشعاراتهم الثلاثة المعهودة ألا وهي : المركزية والطورانية والتتريك ، وتقوم الطورانية على تمجيد القومية التركية والتركيز على قرابة الأتراك العثمانيين مع إخوانهم الطورانيين في آسيا الوسطى ، واستندت الحركة الطورانية إلى سياسة التتريك ، وكان لسياسة التتريك وللحركة الطورانية فلاسفتها منهم يوسف آق جوره أوغلي ومن آرائه في هذا الصدد : ((إن الذين يرتبطون مع الأتراك بالدين فقط وليس بالعرق ، إلا أنهم قد امتزجوا مع الأتراك إلى درجة معينة يسهل صهرهم في المجتمع التركي أما الذين لم يتولد لديهم شعور قومي فيمكن تتريكهم)) .

أجرى الاتحاديون انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان فأعلنت نتائجها في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٤ م ، وقد مارس الاتحاديون فيها أساليب مختلفة من الضغط ليضمنوا إجراء الانتخابات لصالحهم ولم يمنع هذا من فوز بعض النواب العرب الذين يحملون اتجاهات مغايرة لاتجاهات الاتحاديين وقد ساهم هؤلاء النواب العرب غيرهم في إثارة بعض القضايا المتعلقة بالأمور الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية ولكن أنباء الحرب العالمية الأولى أخذت تطغى على اخبار مجلس المبعوثان ، فأصدر السلطان محمد الخامس إرادة سلطانية في آب سنة ١٩١٤ تقضي بتعطيل المجلس نظرا لظروف الحرب .

لم تكن فروع جمعية الاتحاد والترقي في الولايات العربية هي المجال الوحيد الذي برز فيه الاتجاه الطوراني وسياسة التتريك وإنما كانت هناك مجالات أخرى ، ومنها سياستهم تجاه التعليم ، لقد حرص الاتحاديون على ان يكون التعليم في المدارس باللغة التركية وحدها تطبيقا لسياسة التتريك التي اتجهوا إليها ، وكان من مظاهر الاتجاه القومي التركي المتطرف كذلك ، هو اهتمام الاتحاديين بالمناطق التي يسكنها الأتراك ، كما تشدد الاتحاديون في ان يكون التدريس باللغة التركية بما في ذلك تدريس قواعد اللغة العربية واذا اضطر بعض المعلمين أحيانا إلى الشذوذ عن هذه القاعدة فإنهم يمنعون من ذلك من قبل المسؤولين ، وعلى أي حال لا يتمكنون من استعمال أي كتاب ما لم يكن تركيا ، وكثيرا ما يحدث أن المعلم للقواعد العربية كان يجهلها ومع هذا يلقي دروسه باللغة التركية ، وغالبا ما كان الطلاب العرب يرددون الأناشيد التركية دون ان يفقهوا كثيرا من معانيها .

إن سياسة الاتحاديين تجاه التعليم في الولايات العربية قادت إلى نفور قسم من الناس واعراضهم عن المدارس الحكومية حيث فضلوا إرسال أبنائهم إلى مدارس الإرساليات التبشيرية أو الكتاتيب أو المدارس الدينية .

ولهذا فقد كانت المدارس الرسمية مقتصرة على أولاد الموظفين والضباط وبعض الوجهاء الذين كانوا على صلة مستمرة مع دوائر الدولة .

سار الاتحاديون منذ سنة ١٩١٣م وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى بسياسة مركزية أثارت حفيظة القوميات الأخرى في أرجاء الامبراطورية ، وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال بردود الفعل القومي بين العرب عن طريق المؤسسات التي مارست نشاطا ملحوظاً في التوعية القومية عن طريق المطالبة بالحكم المركزي ، ومن ذلك نشاط حزب اللامركزية الإدارية العثمانية في القاهرة ، أما بالنسبة للقومية العربية فقد تمثلت في التنظيمات الحزبية السرية وأبرزها جمعيتي العهد العسكرية والعربية الفتاة ، ولنفق عند هذه التنظيمات لنكشف طبيعتها وظروفها ومنهاجها ثم نحدد أهم السلبيات التي وقعت فيها الحركة القومية العربية عموما ولنبدأ أولا بحزب اللامركزية الإدارية العثماني .

حزب اللامركزية الإدارية العثماني :

تأسس أواخر سنة ١٩١٢ في القاهرة ، وهدفه السعي لتطوير أسلوب الحكم في أقطار الدولة العثمانية على أساس اللامركزية ، وبعبارة أخرى منح كل ولاية قسطا كبيرا من الاستقلال الإداري حتى تستطيع تنفيذ الإصلاحات الضرورية ومقاومة أي غزو أجنبي في حالة تعذر مساعدة الحكومة المركزية لها خشية أن يتكرر ما حدث في ليبيا وفي غيرها من أقطار المغرب العربي ، وقد كان من أهداف هذا الحزب كذلك ان تكون في كل ولاية لغتان رسميتان : اللغة التركية واللغة المحلية ، وأن يؤدي شبان كل ولاية الخدمة العسكرية داخل ولايتهم في زمن السلم ، وأن تخصص واردات الولاية لسد احتياجاتها الفعلة ، وأن توسع صلاحيات مجالس الولايات ، وأن يستعان قدر الإمكان بخبراء أجانب لإعادة تنظيم قوى الشرطة ودوائر العدل ، وقد أكد الحزب على انتهاج الوسائل العلمية والسلمية لتحقيق أهدافه .

كما ظهرت في بيروت أواخر سنة ١٩١٢ بعد تأسيس حزب اللامركزية جمعية إصلاحية باسم " لجنة الإصلاح " تألفت من ستة وثمانين عضوا من جميع الأديان وكانت خطتها تهدف إلى التطبيق العملي للمبادئ التي نادى بها دعاة اللامركزية وقد أعلنت لجنة الإصلاح منهجها في اواسط شباط سنة ١٩١٣م ونشرته على نطاق واسع في الشام والعراق ، فعمدت السلطات المحلية إلى مطاردة بعض أعضائها ، غير أنها اضطرت تحت ضغط المظاهرات التي عمت بلاد الشام أن تطلق سراح القادة المعتقلين وتعلن عزم الحكومة على القيام بالاصلاحات على أساس اللامركزية

أصدر الاتحاديون في ٥ آيار سنة ١٩١٣م قانونا جديدا للولايات جاء على النقيض تماما مما هدفت إليه مناهج لجنة الإصلاح وحزب اللامركزية الإدارية العثماني وقد عده الكثيرون خطوة مقنعة نحو المزيد من المركزية وزيادة وطأة استانبول على الولايات العربية وتقوية قبضتها على الحرية .

واجه القانون الجديد ، بعد نشرة مقاومة شديدة في الولايات العربية فأخذت الصحف تندد به ، وكتبت جريدة صدى بابل البغدادية في عددها الصادر في ٢٥ آيار سنة ١٩١٣م تقول : ((أي قدرة تقدر على إفهام إخواننا الأتراك ، أن العرب في

الدولة هم اخلص العناصر وأصدقها وأشدهم تمسكا بالجامعة العثمانية ، إن إخواننا يعلمون ذلك ولكنهم لا يريدون أن يعترفوا يريدون أن يتجاهلوا الأسباب)) . وقد عقدت الاجتماعات في الولايات العربية ، وتقرر فيها الاحتجاج على القانون المجحف بحقوق الوطن والمواطن ، وأبرق عدد من المثقفين في الولايات العربية إلى استانبول يطالبون عدم تطبيق القانون باعتباره غير كافٍ لإصلاح ولاياتهم .

لقد ارتبطت الحركة الإصلاحية بصورة خاصة ، بحزب اللامركزية الإدارية العثمانية في القاهرة ، وكان من مؤسسيه رفيق العظم وحقي العظم ورشيد رضا واسكندر عمون ، وعبد الحميد الزهراوي وداود بركات ، وقد ذكر عبد الغني العريسي أحد القوميين العرب الذين أعدمتهم السلطات العثمانية فيما بعد في اعترافاته أمام المجلس العرفي العثماني في عالية لبنان : إن رئيس الائتلافيين صادق بك كان يتردد على رفيق العظم وجرى بينهما شبه اتفاق بحيث يكون الحزبان عونا على إزاحة الاتحاديين من الحكم .

أسست جمعيات إصلاحية مماثلة لجمعية الإصلاح في بيروت ، في الموصل وحلب ودمشق والبصرة ، كان قسم منها فرعا لحزب اللامركزية الإدارية العثماني ، اما القسم الآخر فكان جمعيات مستقلة نسقت نشاطاتها مع الحزب المذكور .

كانت حركة الوعي القومي في سوريا أقدم عهدا ، وأقوى تنظيما وأكثر أنصارا بالقياس إلى الأقطار العربية الأخرى ، ولقد سبقت كما رأينا حركة الوعي هذه نهضة فكرية ، ولما كان لكل حركة أن تضمن لنفسها واقعا تعمل من خلاله فقد أثمرت تلك النهضة وبدأ صداها يترك أثره على الأوضاع السياسية ، واذا كانت حركة الوعي القومي قد اتخذت في سوريا شكلا منظما جلب انتباه المؤرخين فليس معنى هذا أنه لم تكن هناك في الولايات العربية الأخرى عوامل تعمل عملها في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وفكرية تفاعلت مع بعضها وأدت إلى ظهور الوعي القومي .

إن الاتحاديين بدلا من أن يحققوا للعرب مطامحهم القومية اتجهوا منذ سنة ١٩١٣ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى إلى انتهاج سياسة مركزية متطرفة أثارت

حفيظة القوميات الأخرى ومنهم العرب ، هذا فضلا عن اتباعهم سياسية تفضيل الأتراك على غيرهم من عناصر الدولة ، وقد استخدموا الإرهاب في فرض سياستهم ، كما ألغيت الجمعيات العربية العلنية ، وكان لفشل الاتحاديين في الدفاع عن الأقطار العربية ضد الغزو الأوربي الاستعماري أثر في إحساس العرب بضرورة بعث كيانهم الخاص المتميز ، فبدأوا يجهرون برفضهم للسيطرة العثمانية ، ثم لجأوا إلى تنظيم أنفسهم في جمعيات وأحزاب سياسية سرية لمواجهة الأخطار الجديدة .

ولعل من أبرز تلك الجمعيات جمعيتي العهد العسكرية ، والعربية الفتاة .

جمعية العهد العسكرية :

اضطر الأحرار العرب إلى العمل السري بعد ان ازداد اضطهاد الأتراك لهم ، ولعل من أبرز الجمعيات السرية التي تأسست خلال المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى جمعية العهد السرية ، تشكلت في استانبول بزعامة عزيز علي المصري وهو ضابط عربي في الجيش العثماني وبعض الضباط المتحمسين للقضية العربية أمثال سليم الجزائري وطه الهاشمي نوري السعيد وجميل المدفعي وغيرهم ، ولا يوجد تاريخ دقيق لنشأتها ، فقد ذكر عزيز علي المصري بأنه في سنة ١٩١٢ أسس جمعية العهد العسكرية ، بينما حدد جورج انطونيوس بداية سنة ١٩١٤ تاريخا لنشأتها ، أما أمين سعيد فقد وضع اليوم الثامن والعشرين من تشرين الأول ١٩١٣ تاريخا لتأسيس هذه الجمعية .

سميت الجمعية بهذا الاسم ، لأن انتماء أي عضو إليها يعد بمثابة (عهد) بينه وبين الله على خدمة الوطن ن وكان هدف الجمعية الحصول على الاستقلال الداخلي للأقطار العربية ، ويقول نوري السعيد : ((بأن هدف الجمعية كان منحصرا في إصلاح الحال على أساس النظام الاتحادي (فيدراسيون) ... ولم يفكر أحد منا في الانفصال عن الامبراطورية العثمانية ، وإنما كان تفكيرنا منصبا في الحصول على إدارة عربية محلية ، ولغة عربية رسمية على أن نشترك والعنصر التركي في إدارة سياسة الدولة العامة ...) كان منهاجها نفس منهاج الجمعية القحطانية التي كشفت السلطات الاتحادية أمرها ، والجمعية القحطانية أسست سنة ١٩٠٩ في استنابول

بزعامة علي المصري ونص منهاجها على ان تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة تصبح جزءا من إمبراطورية تركية عربية .

لقد حرص عزيز علي المصري على ان تقتصر جمعية العهد على العنصر العسكري وحده ، لذلك لم يقبل فيها من المدنيين غير اثنين أحدهما الأمر عادل ارسلان أحد الأعضاء الأوائل في الجمعية السابقة ، وقد يكون من المناسب الإشارة إلى أن الضباط العراقيين احتلوا مكانة مهمة في مجالس جمعية العهد ، وقد أنشأوا بين أواخر سنة ١٩١٣ وبداية سنة ١٩١٤ فروعا للجمعية في الموصل وبغداد ، ولربما يرجع ذلك إلى أن العراق شهد منذ أواخر القرن التاسع عشر ، تأسيس العديد من المدارس العسكرية (الرشدية والإعدادية)

قررت السلطات العثمانية بعد ان أصبح لجمعية العهد نشاط كبير في استانبول وتسربت الأخبار عن نشوء فروع لها في بعض المدن العربية ، وأنها لقيت تأييدا من الضباط العرب ، أن تقاوم ذلك كله ، وتعمل على تفريق رجال الحركة وتبعثرهم قبل ان يشتد ساعدهم ، لهذا عقدت في يوم ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩١٤ اجتماعا خاصا في وزارة الحربية حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ومحافظ استانبول العسكري جمال باشا (قبل تعيينه وزيرا للبحرية) ومدير الأمن العام عزمي بك ، وقد درست في هذا الاجتماع التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية عامة ، وجمعية العهد خاصة واتخذت عدة قرارات أهمها : تولية القيادة في الولايات العربية إلى الضباط الأتراك وإقصاء الضباط العرب ، والاستغناء عن خدمات بعضهم قدر الإمكان وعهد إلى جمال باشا تنفيذ ذلك ، والى شيء من هذا القبيل أشار جمال باشا في مذكراته حين اتهم الضباط العرب العاملين ضمن الفرقة العربية المرابطة في شبه جزيرة غاليبولي بأنهم صرفوا اهتمامهم عندما كانت الحكومة العثمانية مشغولة بالحرب البلقانية بالحرب سنة ١٩١٣ إلى (تعضيد وسائل الابتزاز السياسي التي قام بها (دعاة القومية من العرب) في استانبول بدلا من القيام بواجبهم العسكري ، وقد يدل هذا على أن الاتحاديين علموا بوجود حركة عربية بين الضباط العرب ، فقاموا

في ٩ شباط ١٩١٤ باعتقال الرائد عزيز علي المصري ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتقلل من نشاط الجمعية فكان من الطبيعي أن يتناثر أعضاؤها .

جمعية العربية الفتاة :

وهي جمعية سرية أسسها في باريس عام ١٩١١ م مجموعة من الشبان العرب الذين كانوا يدرسون هناك منهم عوني عبد الهادي وجميل مردم ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريني ، وتوفيق الناطور ورستم حيدر .

وهدفها تحقيق استقلال الاقطار العربية وتحريرها من النير العثماني ، وفي سنة ١٩١٣ نقل مركزها إلى بيروت ، ثم في السنة التالية نقل إلى دمشق حيث بلغ عدد أعضائها المائتين ، وهي أبرز الجمعيات السياسية العربية على الإطلاق ، امتازت بوضوح أهدافها ، ووعي أعضائها ، وإخلاصهم ودقة نظامها وقد بقي سر هذه الجمعية مكتوما حتى النهاية ولم يعرف سرها إلا بعد أن أعلنت الحكومة العربية في دمشق سنة ١٩١٨ م ، ومن آيات البطولة التي اتصف بها اعضاؤها أن احدهم فضل الانتحار على الاعتراف ، وفضل آخر المشنقة على إفشاء سر الجمعية ، وقد كان لهذه الجمعية دور كبير في القضية العربية خلال الحرب العالمية الأولى وتشير المؤرخة الفلسطينية الدكتورة خيرية قاسمية إلى أنها عثرت بين أوراق محب الدين الخطيب على كراس يتضمن منهج الجمعية ، ومما جاء فيه أنها تأست ((من قبل فريق من النابتة العربية للقيام بما تفرضه عليهم الوطنية ليتعزز بهم مركزها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حسب ما تتطلبه طبيعة الوجود)) وكذلك على منشور سياسي للجمعية بعنوان الصرخة الأولى يطالب بالإصلاح والاستقلال الإداري وعليه ختم الجمعية ـ، كما اطلعت على رسالة من عارف الشهابي في ١٨ آذار سنة ١٩١٤ م إلى محب الدين الخطيب يعلمه بقرار الجمعية أن يكون شعارها الألوان الثلاثة التي تمثل التاريخ العربي : الأخضر والأبيض والأسود ، وقد اقترح محمد المحمصاني في رسالة أخرى في ٢٥ نيسان ١٩١٤ بأن يعمل ختم للجمعية يجمع النخلة والصقر .